Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن من الفن الرابع قوله عن هذا الملك : «إنه لابد وأن يكون عند الناس مشهورا بالشهامة والسطوة والقدرة ، فلابد وأن يكون عند جميع الناس مهيبا مخوفا ، فلذلك لابد وأن يكون جميع هؤلاء حسنى الطاعة له ، والانقياد لأوامره ، خائفين من سطوته ، فلذلك لابد وأن تكون معاملتهم فى الظاهر على أجود الوجوه وأتمها» .

ويشعر الباحث الذى يمعن فى فهم هذين الفصلين أن ابن النفيس كان هو الطبيب الخاص الذى يشرف على علاج هذا الملك ولذلك أتيحت له الفرصة لمعرفته عن قرب ، أما علمه بأخلاق كبار أمرائه فإن الجملة الأخيرة من الفقرة التى اقتبسناها هنا توضح معرفته الوثيقة بهم وبأخلاقهم .

وقد امتد الأجل بابن النفيس بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م فعاصر تنازع كبار أمراء المماليك ودسائسهم للإستيلاء على الملك من أسرة بيبرس ، ذلك النزاع الذى استمر عامين استطاع فى نهايتهما الأمير قلاوون أن يكبح جماح هؤلاء الأمراء . ويستولى على الملك بيد من حديد ، ويلقب نفسه بالملك المنصور سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٨ هـ/ ١٢٧٩ م ثم أخذ يستعد إلى لقاء المغول الذين انتهزوا فرصة هذا النزاع الداخلى فأخذوا يغيرون على الشام «بجيوش جرارة لم يطرق الشام قبل ذلك مثلها»[1] وقد تمكن من هزيمتهم هم وحلفاؤهم من الصليبيين فى موقعة حمص ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١ م ثم استولى على حصن المرقب من الصليبيين ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م ، و «كان حصنا منيعا لم يجسر أحد من سلاطين المسلمين قبله مثل صلاح الدين على

---

(١) كتاب «المختصر فى أخبار البشر تأليف أبى الفدا ، عماد الدين إسماعيل وهو المؤرخ الذى عاصر تلك الحروب ، جـ ٤ ص ٢٣ – ٢٤